الإمام أبو الخير محمد بن الجزري

فى القرآءات

"دراسة تحليلية"

د. أحمد بن عبد الله الفريح

أستاذ مشارك بقسم القراءات بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

مكة المكرمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ..

فإنّ من أعظم ما يصنع المتميزين ، والعلماء الربانيين هم القدوات السابقين بالعلم والعمل ، ممن سطر التاريخ سيرهم ، ووصف هديهم وسننهم ، وأبرز ما تميزوا به من علم وتقوى وإخلاص ، وكيف بذلوا أوقاتهم واستفرغوا طاقتهم في تحصيل العلم ، والمبادرة إلى العمل دون كلل أو ملل ، ومن تلك القامات التي أصبحت منارة من منارات علم القراءات ، وكان أنموذجاً يحتذى به في تلقي علم القراءات ، والرحلة في طلبها ونشرها ، وتحرير مسائلها ، وجمع أسانيد رواياتها ، حتى أصبح حلقة وصل بين من قبله ومن بعده ، فكان مجدداً ومحرراً ومحققاً ، ومستدركاً ومصححاً ، بما حازه من علم واسع ، ودراية وافية ، ورواية استقصى بها الروايات والطرق ، وحرر من خلال جميع الطرق ، بفضل الله ثم بفعل تطوافه على نطاق واسع من الأقاليم ، والتلقي على علمائها وكبار قرائها ، فكان خاتمة المحققين ، ومنتهى أسانيد القراءات والمقرئين ،

موضوع البحث :

يدرس البحث أبرز المحطات التي صنعت أثراً ظاهراً على حياة الإمام ابن الجزري ، وكان لها دور مؤثر على حياته ، وانتشار صيته ، وتلقف علمه ، وانتقاله عبر القرون إلى زماننا هذا.

مشكلة البحث:

لاشك أن هناك عوامل أحدثت أثراً كبيراً في حياة الإمام ابن الجزري ، فصاغت همته وصنعت شخصيته العلمية ، فما هي تلك العوامل التي أحدثت ذلك الأثر البالغ

في بنائه العلمي ، وحفزته على تحصيل علم القراءات والرحلة في تلقي القراءات على كبار العلماء والقراء ؟ حتى أصبح إماماً يشار إليه بالبنان ؟

كيف انتشرت مؤلفات في كثير البلاد الإسلامية فلم يخل بلد من ناقل أو راوٍ لتلك المؤلفات ؟

كيف كان للإمام ابن الجزري هذا الأثر الكبير في نشر وإسناد بالقراءات القرآنية ؟

ما هي الظروف والأسباب التي مكنته من إحداث الأثر الواسع زماناً ومكاناً ؟

ما الذي تميز به الإمام ابن الجزري حتى تمكن من صناعة ذلك الأثر ؟

حدود البحث :

دراسة سيرة الإمام أبو الخيرة محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري دراسة تحليلية من المصادر التي ترجمت له.

أهداف البحث:

1.تبصير طلبة العلم عموماً والقراءات خصوصاً بالمنهجية القويمة في تلقي علم القراءات.

2.الوقوف على نموذج من أبرز النماذج التي صنعت أثراً في علم القراءات على نطاق واسع.

3.معرفة مقومات صناعة العلماء الربانيين الذين شهد لهم التاريخ بإحداث أثرٍ واضح وجلي.

منهج الباحث :

دراسة سير الإمام ابن الجزري دراسة تحليلية،وتتبع أحداث حياته ، والوقوف على أبرز تلك الأحداث التي أوجدت أثراً مفصلياً في سيرته ومسيرته العلمية والعملية ، ومن ثم سبك ذلك ضمن منهجية البحث العلمي الرصين.

إجراءات البحث :

1. جمع سيرة الإمام ابن الجزري من المصادر والتي ترجمت له.

2. تحديد أبرز العوامل التي المؤثرة في حياة الإمام ابن الجزري.

3. تصنيف وترتيب تلك العوامل زمنياً قدر المستطاع.

4. تحليل تلك العوامل وتحديد جوانب انعكاسها على حياة ابن الجزري.

الدراسات السابقة :

أثناء جمع مصادر سيرة الإمام ابن الجزري ، وحصر المؤلفات التي كتبت عنه ؛ لم أقف على دراسة مماثلة لمضمون هذا البحث ، وغالب تلك الدراسات كانت عن عبارة عن ترجمة وسيرة ، أو تحقيق مؤلف من مؤلفاته ، أو تحرير أسانيده ، ومَنْ كتب عن سيرته أضاف إضافات يسيرة من خلال تحليل بعض مجريات حياته ، ومع ذلك لم أجد من تناول عوامل تأثيره على أهل زمانه ، وأثره على من بعده .

هيكل البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة ؛شملت نبذة عن موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته،ثم خطة البحث، والتي تضمنت عدة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول :الحركة العلمية في الديار الشامية والمصرية وبلاد الحرمين.

المبحث الثاني : التنشئة العلمية.

المبحث الثالث : عرض القراءات بالإفراد والجمع على علماء دمشق.

المبحث الرابع : الطلب على أكابر العلماء.

المبحث الخامس : الرحلة في طلب العلم وتلقي القراءات.

المبحث السادس : قراءة وسماع كتب القراءات والقراءة بمضمنها.

المبحث السابع : الارتحال لنشر القراءات.

المبحث الثامن : نشر علمه عبر دور القرآن ومدارسه.

المبحث التاسع : عناية السلاطين والأمراء به وبطلابه.

المبحث العاشر : ابتعاده وإبعاده عن مواطن الفتن.

المبحث الحادي عشر : كثرة وتنوع مؤلفاته.

المبحث الثاني عشر : توليه مناصب علمية.

المبحث الثالث عشر : انتشار طلابه في البلدان.

الخاتمة والنتائج والتوصيات.

سائلاً المولى سبحانه وتعالى العون والسداد ...

تمهيد :

في القرآن والسنة تاريخ مسطر ، وأخبار أمم سلفت ، جيء بها لبيان السنن الربانية في هذا الكون العريض ،ولذلك نهضت وراجت كتب السير والرجال والتاريخ ، وكلها تعنى برصد حياة البشر أفراداً ومجتمعات ، واعتنى الراصدون بأبرز الشخصيات المؤثرة في المجتمعات في كل زمان ومكان ، فرَصدوا سِيَر العلماء ، وسطروا مسيرتهم وتجربتهم ، وما تحمله في كنفها من دروس كثيرةٍ ، وتتجلى في ثناياها من سننٍ ربانية عظيمة ، توافرت أسبابها ، واجتمعت مسبباتها وظروفها ، فأذن الله سبحانه وتعالى بحصول نتائجها ، ولذلك كانت نبراساً ومنهجاً ، فمن أراد أن يدرك ما أدركوه ؛ فعليه أن ينهج نهجهم ، ويسلك مسلكهم ، ويتبع طريقتهم ، ليبلغ ما بلغوه ، ويدرك ما أدركوه ، والله يكتب ويقدر ما شاء لمن يشاء ، ومن تلك الفئات التي كان لها أثر واضح في زمنهم ومجتمعهم ؛ ورثة الشريعة من العلماء ، الذين كان لهم أثر واضح في حملها ونشرها ، والرحلة في طلبها على علمائها ، وقد سلكوا مسالك متشابهة في الطلب ، حققت نتائج متقاربة في تحصيل العلم والمعرفة ، ونشرها وانتشارها بين طلبة العلم ، فبقيت علومهم ومعالمهم ، وتلقف الناس كتبهم وآثارهم ، ولا زالت الأيام تبدي لنا من آثارهم ما أخفته السنون ، وأكنته المكتبات في بطونها ، كأنها حمل لا يُدرى متى أوان خروجه ، ولا يُعرف مَنْ سيَكتب الله على يديه ولادة ذلك المخطوط أو تلك المعرفة ، وإخراجها إلى عالم العلم والعلماء ، ولما تشابهت المدخلات ، وتقاربت المخرجات أصبح من السهولة بمكان حصرها ومعرفتها ، فعوامل ومقومات إمامتهم ونبوغهم متشابهة إلى حدٍ كبير ، ولذلك وقع الاختيار على أنموذج متميز ملأ الدنيا علماً وعملاً ، ألا وهو الإمام ابن الجزري.

ولد الإمام أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة

(751) من الهجرة النبوية ، بدمشق [1]، وكان من أبرز العلماء الذين اشتهرت أسماؤهم ، وانتشرت آثارهم عبر القرون ، ولاشك أن لاشتهاره عوامل كثيرة، كان له الأثر البالغ في نشر القراءات وانتشار علمه وأسانيده واختياراته ، ومن خلال هذا البحث سأتتبع – بإذن الله تعالى –العوامل و المقومات والأسباب التي صنعت هذا الأثر الواسع للإمام ابن الجزري ، حتى أصبح مرجعاً لمن بعده في الرواية والدراية ، وأصبح قوله ورأيه عمدة فيهما ، وقد أثرت في صناعته تلك العوامل وأبرزته بما يؤكد إمامته ، وذلك كله بعد توفيق الله تعالى ، وإخلاص النية وحسن القصد ، والبذل والجد في الطلب والتحصيل ، وفي بذل العلم لطلابه ، ومن خلال ما سبق تظهر لنا أبرز الأحداث التي أثرت على حياة الإمام ابن الجزري ، جراء عوامل ومقومات كان لها الأثر الواضح على إمامة الإمام ابن الجزري.

أمّا العوامل فهي جمع عامل ،ويراد به الباعثُ أو المؤثِّرُ في الشيءِ ، والعوامل تطلق على أرجل الإنسان وقوائم الدابة [2]، وهو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله ،وكلّ ما يتألّف أو يتركّ بمنه جسم أو جهاز أو مشروع من عناصر أساسيّة تسهم في قيامه ووجوده وفاعليّته ، وتطلق القوائم على الجبال [3].

فالعوامل بواعث وأسباب مساعدة مشتركة بين جميع المهتمين ، تنشأ عنها عناصر أساسية مؤثرة هي المقومات التي يتميز بها البعض ، يترتب عليها نتائج عظيمة ، فالتنشئة الطيبة وطلب العلم عامل مشترك بين جميع أفراد علماء القراءات وغيرهم ، تنشأ عنها أعمال مؤثرة من الرحلة للطلب والجلوس للتعليم ، ويترتب عليها بلوغ

(1) انظر غاية النهاية ، لابن الجزري: 247/2 – 251.
(2) لسان العرب ، لابن منظور: مادة عمل ، 400/9.
(3) القاموس المحيط للفروزأبادي: مادة قوم ، 1517/2.

درجةٍ عليا من النبوغ ، وذيوع الصيت ، وانتشار العلم ، ولأجلها يفوق بعضهم فيكونون منازل من حيث الشهرة وتوافد الطلبة عليه ، فربما اشتهر عالم وارتفع أمره على من هو أعلم منه ؛ نتيجة تأثير تلك المقومات، وسأستعرضها بشيء من التحليل لسيرته رحمه الله تعالى.

المبحث الأول

الحركة العلمية في الديار الشامية والمصرية وبلاد الحرمين

في تلك الحقبة الزمنية التي سبقت ولادة الإمام ابن الجزري كانت الديار الشامية والمصرية والحرمين الشريفين حواضر العلم ومأرز العلماء ومهوى طلاب العلم ؛ وكانت تحت ملك السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون [1]، وكانت ذات حراك سياسي ؛ يتغير فيها الولاة والأمراء ، وتقع بعض الحروب هنا وهناك ، ويتذبذب الأمن بين فينة وأخرى، لكنها لم تؤثر بشكل كبير على الحركة العلمية ، عدا بعض المناصب الدينية كالقضاء والقضاة ؛ تنصيباً وعزلاً [2]، حيث كانت المدارس الدينية منتشرة [3]، يؤسسها الولاة والأمراء والوجهاء لتدريس القرآن ورواية وسماع الحديث الشريف ، والمذاهب الأربعة[4]، وإقامة الأوقاف عليها [5]، ويباشر التعليم فيها العلماء ، ويتوافد إليها الطلاب من خارج دمشق ، ويتضح ذلك من خلال أخبار القراء والمسندين في تلك الفترة الزمنية ، وجلوسهم للتعليم ، وتواليهم على

(1) البداية والنهاية، لابن كثير: 245/7 ، 253 ، 261
(2) نفس المصدر: 274/7
(3) المصدر نفسه: 238/7 – 239
(4) نفسه: 263/7
(5) نفسه: 270/7

المشيخة والإفتاء ، وتعاقبهم على مجالس العلم والإقراء[1]، وقد أخبر الإمام ابن الجزري في طبقات القراء عن تواريخ قراءته على علمائها القرآن ، وسماع الحديث ، وحصوله على الإجازات والسماعات في تلك السنون، دليل على تتابع التعليم ، وكثرة القراء والعلماء ، وتوافر طلبة العلم ، وعدم حصول فترة أو انقطاع في الحركة العلمية.

في تلك الفترة كان والد الإمام ابن الجزري يختلف إلى حِلَقِ العلم ، ويغشى مجالس القرآن والحديث ، ومخالطة العلماء ، ولعل ذلك تمهيداً لتوجيه الإمام ابن الجزري إلى تلك المجالس ، وبدء تلقي القرآن الكريم والحديث الشريف ، وهذا يدل على وجود كثير من القُراء المجازين بالقراءات في دمشق ، وأيضاً انتشار الحركة العلمية ، وكثرة مجالس العلم ، وجلوس عددٍ كبير منهم لإقراء الطلاب وتعليمهم القراءات ، وأيضاً انتشار علماء الحديث الشريف والسنة المطهرة ، وانتشار أسانيدهم بين الناس ، وحرصهم على منح الإجازة لمن قرأ عليهم القرآن والسنة النبوية ، وقبولهم لمختلف فئات الناس ؛ من غير طلبة العلم المتفرغون لطلبه ، ممن لديهم رغبة في سماع أو تلقي القرآن والسنة ؛ من الصنَّاع والتجار ، كحال والد الإمام ابن الجزري ، بل إنهم مع ذلك كانوا يهتمون بالمبتدئين بتلاوة القرآن فيلقنونهم القرآن كما حصل مع والده ، حيث لُقِّنَ تلاوة القرآن [2]، وقد ذكر الإمام ابن الجزري أن الإمام الحسن بن عبد الله السروجي الدمشقي شيخه وشيخ والده[3]، فتلقى ابن الجزري على والده في بداية طلبه ، وقرأ عليه القرآن ، وسمع منه الحديث الشريف ، فكان أول شيوخه الذين تلقى العلم على أيديهم.

(1) البداية والنهاية: لابن كثير: 250/7

(2) غاية النهاية ، لابن الجزري: 219/2

(3) نفس المصدر : 219/1

المبحث الثاني

التنشئة العلمية

من أبرز عوامل إمامة الإمام ابن الجزري هو نشأته في بيت يتصف بالتدين والحرص على تعلُّم القرآن والسنة المطهرة ، وعنايته بنشرهما بين أفراد الأسرة ، مع كون والده طالب علم يغشى حلق العلم حيث ذكره الإمام ابن الجزري بأنه أول شيوخه الذين قرأ عليهم القرآن والسنة [1]، ثم ألحقه والده في محاضن العلم ، وربطه بالعلماء ، ليعتاد حضور مجالسهم ، وليقع في قلبه الإعجاب بهم ، وليقوده ذلك للاقتداء بهم ، والاقتراب منهم ، وطلب العلم على أيديهم ، وهذا في حد ذاته توجيه للاهتمام بالعلم في مقتبل العمر ، وليصادف حباً واقتداءً بمن يرى والده يُحِبُّهُم ويُجِلُّهُم ويتلقى العلم على أيديهم ، فيتمثل خطى والده ، وأيضاً لفتُ نظرٍ للعناية بعلوم الشريعة ، وقد أخذه والده ليقرأ القرآن على الشيخ الذي لقنه القرآن، وهو الإمام الحسن بن عبد الله السروجي الدمشقي ، وقد وصفه الإمام ابن الجزري فقال:"شيخي وشيخ والدي رحمه الله"[2]، يضاف إلى ذلك كون أخاه علياً كان عالماً مقرئاً [3]،مما يؤكد اهتمام الأسرة ببناء أبنائها بناءً علمياً ، لاسيما فيما يخص القرآن والسنة ، وذلك عامل مهم في تحفيز الإمام ابن الجزري للمزيد ، وصبره على طلب العلم ، والمنافسة على الازدياد من المعرفة ، والمسابقة إلى حلق العلم والعلماء ، ليس ذلك فحسب بل كان والده يصطحبه ليَسمعَ القرآن والحديث الشريف على جماعة من علماء عصره ، وهذه تهيئة له ليبدأ مستمعاً ثم يشرع بالطلب ، ويبدأ بعرض القرآن والسنة ، واستحقاق الإجازة

(1) انظر جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري : 40
(2) غاية النهاية، لابن الجزري: 219/2
(3) الضوء اللامع، للسخاوي: 23/6

بهما ،وقد أخبره والده بأنه التقى خال جده الإمام محمد بن إسماعيل الخباز وسمع منه القرآن وأجازه ،وسمع الحديث الشريف على أصحاب الفخر ابن البخاري وغيرهم [1]، وقد انعكست تلك التنشئة على القرآن والسنة على تحصيل الإمام ابن الجزري ، وعلى إجازات حيث في القرآن والحديث الشريف ، وأثمر ذلك التحصيل مؤلفات كثيرة ، كان غالبها في القراءات والحديث الشريف[2]، بل بلغ ذلك أبناء الإمام ابن الجزري حيث كان جميع أبنائه وبناته من القراء المجودين ومن حفاظ الحديث الشريف المجازين من والدهم ومن غيره [3].

المبحث الثالث

عرض القراءات بالإفراد والجمع على علماء دمشق

كان من عادة الأئمة إفراد كل قارئ بختمة ، ثم يجمعون أكثر من قارئ في ختمة واحدة ، وهكذا حتى يجمع أحدهم القراءات كلها في ختمة كاملة ، وقد سار الإمام ابن الجزري على نهجهم ومنهجهم فقرأ بالإفراد على جمع من العلماء[4]، وقد أشار ابن الجزري إلى أن هذه المنهجية لم يذكرها السلف مع أهميتها ، إلا لعلو هممهم ، وحرصهم على ضبط القراءة ، ذلك أنهم يفردون كل قارئ بختمة خاصة بقراءته ، وربما بعدة ختمات ، ثم بعد ذلك يجمع لأكثر من قارئ ، أو يعرض كل القراءات بختمة ،

(1) غاية النهاية: لابن الجزري: 247/1

(2) انظر شيخ القراء، الحافظ: 23-33

(3) شيخ القراء، الحافظ:43 ، غاية النهاية، لابن الجزري: 251/2 ، 245/2-246 ، 47/1 ، 252/2 ، الشقائق النعمانية، كبري زاده:28/1.

(4) غاية النهاية، لابن الجزري: 247/1

وربما قرأ الطالب بجمع القراءات في عدة ختمات[1]، وهي منهجية حققت لابن الجزري التلقي المحكم، والأداء المتقن في عرض القراءات ، لما فيها من ضبط أصول وفرش كل رواية على حدة بتركيز عالٍ ، وتحصيل أسانيد كل رواية وقارئ على حدة ، ثم جمع القراءات السبعة والعشرة ؛ الصغرى والكبرى ، وقد مكنته تلك المنهجية من جمع أسانيد كثيرة ،لعددٍ كبير من المقرئين ، بقراءات وروايات متعددة ، وردت قراءاتهم عبر طرق كثيرة ، من كبار الأئمة في القراءة والرواية والإقراء ، ممن انتشرت أسانيدهم على قطاع عريض من قراء العالم الإسلامي ، واتسمت بعلوها وصحتها[2]، وقد استطاع الإمام ابن الجزري الوصول إليهم في حواضر العلم والعلماء في الشام والديار المصرية ،وفي مكة والمدينة ، والقراءة على أبرز من فيها من أئمة القراءة والرواية ، في القرآن والسنة .

المبحث الرابع

الطلب على أكابر العلماء

بعد أن تزود الإمام ابن الجزري من العلم ، ومكَّنَ نفسه من القراءات والسنة قبل أن يغادر دمشق ، أخذ يتحرى عن العلماء الذين انتهت إليهم رئاسة الإقراء في بلدانهم ، وقرؤوا بعدة روايات على عدد كبير من القراء ، وعلا إسنادهم ، فاستطاع أن يحدد وُجهته لطلب علم القراءات والحديث الشريف ، وكان يرحل إلى العلماء قصداً لشخصية محددة ، كرحلته إلى الديار المصرية للقراءة على شيخ مشايخ الإقراء في الديار المصرية سيف الدين أبو بكر أيدغدي الشمسي ، الشهير بابن الجندي

(1) النشر، لابن الجزري: 2/194-195
(2) نفس المصدر: 1/192

الحنفي [1]،عندما عرف أنّه هو الأعلى إسناداً في الرواية والأوسع علماً في الدراية[2]، وتلقيه على شيخ قراء المدينة الشريفة شمس الدين محمد بن صالح بن إسماعيل المدني أثناء مروره بها متجهاً لأداء فريضة الحج[3]، إلا أنه كل يختار الأبرز والأعلم ممن تسنموا مشيخة القراءة والإقراء في بلدانهم ، وسطع نجمهم ، وذاع صيتهم ، وبذلوا أنفسهم للإقراء ، فقرأ على شيخ القراء بدمشق ، والأعلى إسناداً في الشام[4]؛ أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف السلار الشافعي[5]، وشيخ القراء شهاب الدين أحمد بن إبراهيم الطحان [6]، وشيخ مشايخ الإقراء بالشام أبو المعالي محمد بن أحمد بن اللبان ، ، وشيخ القراء بالديار المصرية تقي الدين عبد الرحمن بن أحمد الشهير بابن البغدادي الشافعي ، وشيخ القراء وإمام العربية بمصر شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن الصائغ[7]، ومفتي الديار المصرية بدر الدين الحسن بن صالح النابلسي الحنبلي[8]، وقاضي القضاة ومسند القراء بدمشق شرف الدين أحمد بن الحسين الكفري الحنفي، ومفتي دمشق الشيخ شهاد الدين أحمد بن الخضر الحنفي ، وشيخا حلب أبو عبد الله محمد بن أحمد الهواري المريني الضرير ، وصاحبه أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي[9]، ومسند القراء شمس الدين أبو

(1) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 41

(2) نفس المصدر: 36-37

(3) غاية النهاية، لابن الجزري: 247/2،جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 41

(4) نفس المصدر: 73

(5) المصدر نفسه: 73

(6) نفسه: 40

(7) نفسه: 42

(8) نفسه: 43

(9) نفسه: 44

الفتح محمد بن أحمد العسقلاني البصري ، وشيخ العربية شمس الدين محمد بن محمد بن علي الغماري[1]، وشيخ العربية بدمشق شهاب الدين أحمد بن علي العُنَّابي المغربي[2]، وقد كان لحسن اختياره للأئمة الذين يتلقى عنهم بالغ الأثر على تمكنه من القراءات ، وعلو إسناده ، ورحلة طلبة العلم إليه في سن مبكرة من عمره .

المبحث الخامس

الرحلة في طلب العلم وتلقي القراءات

سلك الإمام ابن الجزري نهج سلف الأمة في الرحلة لطلب العلم إلى أقطار كثير وأمصار بعيدة[3]، وأشار إلى أن رحلتهم تلك كان لها عظيم الأثر في تكامل بنائهم العلمي ،حيث أدركوا بها ما قصدوه من تحصيل علم وافر ؛ كان له دوره في نبوغهم وإمامتهم،ما جعل طلبة العلم يقصدونهم ليتلقوا عنهم ما جمعوه من علم وافر، فاستن الإمام ابن الجزري بسنتهم ، وسلك مسلكهم في طلب العلم ، فرحل يتتبع كبار الأئمة في الأمصار ، فبدأ بالمدينة النبوية فقرأ على إمامها وخطيبها وشخ القراء فيها[4]، ثم مضى إلى الديار المصرية فقرأ على علمائها، فحصل له بذلك علم غزير ، ثم عاد إلى دمشق، ثم رحل مرة أخرى إلى الديار المصرية فقرأ القرآن وسمع الحديث وأخذ الفقه ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم رحل ثالثة إلى الديار المصرية فقرأ علم الأصول والمعاني والبيان ، وأتى الإسكندرية ، فسمع كثيراً من كتب القراءات والحديث وأُجيز

(1) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 46
(2) نفس المصدر: 47
(3) انظر النشر، لابن الجزري: 198/1.
(4) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري:41 .

بها[1]، ثم رجع إلى دمشق عالماً متضلعاً في علوم القراءات والحديث والفقه واللغة، فجلس للإقراء في الجامع الأموي[2]، والذي كان يُعد أكبر مَجْمَعٍ للعلم والعلماء في الشام ، لما ظهر من علمه ونبوغه في علم القراءات تحديداً ، وقد تكررت رحلته إلى مصر لكونها كانت ملتقى علماء إفريقيا وآسيا ، واجتمع فيها ما لم يجتمع في غيرها من الأمصار ، ومثلها كانت دمشق ، حيث اجتمع فيها جمع كبير من العلماء في ذلك الزمن ، ويتضح ذلك من خلال تتبع نسبهم والأماكن التي ينتسبون إليها وأتوا منها يطلبون العلم ، ثم طاب لهم المقام فيهما ، وأشار ابن الجزري إلى علماء آخرين التقاهم وذاكرهم وأفاد منهم ، بمصر والشام والروم وما وراء النهر وخراسان وغيرها ، وذلك يدل على سعة وتنوع الشريحة التي تلقى عنهم القراءات ، وتنوع ثقافاتهم ومذاهبهم ، وذلك انعكس على ابن الجزري سعة في العلم ، وشمولاً في المعرفة ، وفقها وفهماً عميقاً لأصول العلم وفروعه .

المبحث السادس

قراءة وسماع كتب القراءات والقراءة بمضمنها

من أبرز العوامل المؤثرة في بناء الإمام ابن الجزري وإمامته تلقيه كتب القراءات المتقدمة ومنظوماتها سماعاً وقراءةً على العلماء ، وذلك أكسبه استعراض كتب القراءات المتقدمة ، وعرض ما تضمنته من قراءات وروايات ، والحصول على الإجازة بما فيها ، فامتدت أسانيدها إليه ، ما نتج عنه سبك تلك القراءات والروايات وتضمينها كتبه ، وقد ذكر في سيرته ما يدل على ذلك ، ومنها قوله:"قرأ بمضمن

(1) غاية النهاية، لابن الجزري: 248/1

(2) نفس المصدر: 248/1 .

الكافي والتيسير"[1]، "بعد أن قرأت عليه القرآن بمضمنه" [2]، "فجمع للاثني عشر بمضمن كتب على الشيخ ... وللسبعة بمضمن العنوان والتيسير والشاطبية على العلامة .."[3]، "فجمع على ابن الصائغ للعشرة بمضمن الكتب الثلاثة المذكورة ، وبمضمن المستنير والتذكرة والإرشادين والتجريد"[4]،"وسمع من هؤلاء الشيوخ وغيرهم كثيراً من كتب القراءات بالسماع والإجازة ، وقرأ على غير هؤلاء القراءات"[5]،وقال عن كتاب التيسير "قرأت عليه القرآن بمضمنه"[6]، "وقرأته أَجْمَعْ على الشيخ .."[7]، وخلاصة ما سبق أن تلقيه على علماء القراءات كان بقراءة الكتاب على الشيخ ، أو سماعه منه ، أو سماع قراءة الكتاب في مجلس الشيخ ، ثم يعرض قراءته على الشيخ بما تضمنه ذلك الكتاب من قراءات ، فإمّا أن يعرض عليه القرآن كاملاً ، أو يعرض عليه حروف القراءات ، فيجيزه الشيخ بما قرأ عليه من قراءات أو بما سمعه من كتب ، باعتبار أن ابن الجزري إمامٌ في القراءات ، وهي عدة مناهج وكيفيات انتقلت بها القراءات من السلف إلى الخلف ، وقد ذكر الإمام ابن الجزري طرقهم في تلقي القراءات ، فقد قرؤا القرآن كاملاً وعرضوا تلاوته ، ووصف تلقيهم فقال:"قراءة وتلاوة وسماعاً"[8]، "قراةً مني عليه"[9]، وقرؤا بمضمنه، وسمعوا "سماعاً لما فيه من القراءات ..

(1) غاية النهارية، لابن الجزري: 247/1
(2) النشر، لابن الجزري: 58/1
(3) نفس المصدر.
(4) غاية النهاية، لابن الجزري: 248/1
(5) نفس المصدر.
(6) النشر، لابن الجزري: 58/1
(7) نفس المصدر: 58/1 – 59
(8) المصدر نفسه: 58/1 – 59
(9) نفسه: 59/1

وإجازة شافهني بها للكتاب."[1]، ومناولة "فمناولة وإجازة"[2]، "قرأته وتلوت به"[3]، "بقراءتي عليه بعد تلاوتي القرآن العظيم بمضمنها"[4]، "وقرأت بمضمنها القرآن كله على جماعة من الشيوخ.."[5]، "قراءة عليه وأنا أسمع"، "ونحن نسمع"[6]..

وفي تعدد طرق التلقي واختلاف أساليبه ما يؤكد أنها عوامل يشد بعضها بعضاً ، لتصنع تكاملاً متقناً في تمكين الإتقان ، والجمع بين الرواية والدراية ، والصدور عن علم السلف ومؤلفاتهم ، وما أثبتوه من قراءات ، وما ترتب عليها من ضبط جودة النقل بإتقان وإحكام .

المبحث السابع

الرحلة لنشر القراءات

بعد أن قطع الإمام ابن الجزري شوطاً كبيراً في تلقي القراءات رواية ودراية ، وظهر نبوغُه وتمكنه من القراءات دراية ورواية وضبطاً وأداءً ، فأجازوه وأذنوا له بالجلوس للإقراء ، فجلس في الجامع الأموي ولم يجاوز التاسعة عشرة من عمره [7]، فرحل إليه الطلبة من الغرب أو المغرب العربي والأندلس واليمن والهند والروم وبلاد العجم ، وحين اضطرته الفتن للخروج اتجه إلى بلاد الروم من الديار المصرية إلى

(1) النشر، لابن الجزري: 59/1
(2) نفس المصدر: 58/1
(3) المصدرنفسه: 60/1
(4) نفسه: 61/1
(5) نفسه: 62/1
(6) نفسه: 62/1
(7) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 39

الإسكندرية ، وركب البحر منها إلى مدينة أنطاكية عبر البحر المتوسط[1]، فما أن نزل بها حتى أقبل عليه القراء يريدون القراءة عليه ، ومن عجيب ما ذكره ابن الجزري قوله :"ومن الاتفاق الغريب أني بِتُّ تلك الليلة بالثغر المذكور – أنطاكية – فلما أصبحت إذا بالقاضي وجماعة القراء قد أتوني ومعهم الشيخ الإمام شيخ القراءات أمين الدين محمد التبريزي ، وهو كان من المبرزين في هذا العلم ، وكانت له شهرة بالروم ، فقالوا : إن الرجل قدم اليوم في الصباح ونزل عند القاضي ، فسأله أين تريد؟ قال : الديار المصرية لأقرأ القراءات على ابن الجزري ، فإني سمعت أنه الآن بها ، فقال : إن ابن الجزري قد وصل أمس ، أي: هنا ، واجتمعنا به البارحة ، فلم يصدق بذلك ، حتى جاء قُراء البلدة فأخبروه بذلك بالتحقيق ، فكاد أن يغشى عليه من السرور ، وقال : لا أقعد حتى تتوجهوا بي إليه ، فجاؤوا جميعاً"، فلازمه أياماً حتى أجازه"[2]، ثم استمرت رحلته في بلاد الروم وفارس ويسر الله له تولي مشيخة عدة مدارس والإقراء فيها ،كما سيأتي في المبحث التالي.

المبحث الثامن

نشر علمه عبر دور القرآن ومدارسه

لما عاد الإمام ابن الجزري إلى دمشق بعد رحلته إلى الديار المصرية في رحلته الأولى ، وكان قد نال حظاً كبيراً من القراءات والحديث الشريف ؛ فأنشأ مدرسة للقُراء في دمشق بدرب الحجر ، وسماها دار القرآن وأقرأ الناس سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (791هـ)[3]، ثم خرج من مصر متجهاً إلى انطاكية عام ثلاث وتسعين

(1) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 51

(2) نفس المصدر: 52

(3) الدارس في تاريخ المدارس، الدمشقي:8 ، البداية والنهاية، لابن كثير: 13: 219، شذرات

=

وسبعمائة (793هـ)، وقد كانت تلك الرحلة سبباً في نشره لعلم القراءات وإقرائها والإجازة بها في بلاد الروم ، حيث ذاع صيته قبل وصوله ، وكان ذلك سبباً في إقبال الناس للقراءة عليه ، فكان في مُلك السلطان بايزيد يُعلم القرآن والسنة ، ويُقرئُ بالقراءات ، بل عهد إليه السلطان بتعليم ثلاثة من أبنائه سلطان محمد ومصطفى وموسى[1]، ثم في مُلك تيمور كوركان بعد استيلائه على مُلك أبا يزيد ، حيث أرسل إليه من يأخذه في غاية الإجلال والتعظيم من بورصة [2]، وكان قد أنشأ مدرسة عظيمة في مدينة كَشَ، اختص ابن الجزري بالتدريس فيها ، وولَّاه مشيختها، وبقي فيها الإمام يملي العلوم الشرعية ، فكانت سبباً لتلقي جموعٍ كبيرةٍ من الطلبة للقراءات وعلومها و الحديث الشريف[3]، وكذا كان الأمر بعد تولي ابن ابنه خليل سلطان الملك من بعده، وابتنى داراً للقرآن بشيراز ، في العام الذي وصل فيه إليها سنة سبع وثمانمائة (807هـ)[4]، ودفن بدار القرآن التي أنشأها [5].

الذهب، ابن العماد:9:298.

(1) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 58

(2) نفس المصدر: 59

(3) المصدر نفسه: 61

(4) الدارس في تاريخ المدارس ، للنعيمي: 1/ 8

(5) غاية النهاية 251/2 ، الشقائق النعمانية 26 ، الضوء اللامع، للسخاوي: 257/1 ، شذرات الذهب 204/7

المبحث التاسع

عناية السلاطين والأمراء به وبطلابه

لقي الإمام ابن الجزري عنايةً واهتماماً من الولاة والأمراء ، وكان ذلك سبباً في اتساع دائرة تأثيره ونشر علمه،من ذلك لقاؤه بالسلطان بايزيد بن مراد بن أرخان ابن عثمان ، وكان قد سمع عن ابن الجزري ، فالتمس منه أن يقيم في دار ملكه ، وبالغ في إكرامه وتهيئة مكان إقامته ، وإهدائه العبيد والجواري[1]، ولم يمكنه من الرجوع إلى دمشق رغبة في الإفادة منه[2]، واغتنم السلطان بايزيد وجود الإمام ابن الجزري في تعليم أبنائه العربية والنحو والشريعة ، وبقي في ملكه سبع سنين[3]، حتى استولى تيمورلنك على مُلك بايزيد ، ولما بلغ تيمور وجود الإمام ابن الجزري في بورصة أرسل إليه من أخذه في غاية الإجلال والتعظيم ، والتمس منه أن يبقى في مملكته ليؤخذ عنه القرآن والسنة ، ثم أمر بإقامته في مدينة كَش ، وكان قد بنى فيها مدرسة عظيمة ، أعدها لمجيء ابن الجزري ليُدرس فيها القرآن والسنة ، ثم اصطحبه معه إلى سمرقند ومنها إلى ناحية خِطَا ، ثم رجع ابن الجزري إلى مدينة كَش[4]، ولما تولى الملك بعد تيمورلنك حفيده خليل سلطان بن الأمير الكبير ميران شاه ، لم يأذن لابن الجزري بالرحيل إلا بعد أن ألح عليه أن يعود إلى بلده دمشق ، فأذن له ، فلما وصل مدينة هراه استقبله سلطانها الكبير شاه رُخ ، وكان قد خرج بمعسكره لاستقبال ابن الجزري ، فالتمس منه السلطان الإقامة عنده ، ليبنيَ مدرسة في دار ملكه في هراة ، وبالغ في

(1) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 54
(2) نفس المصدر: 57
(3) المصدر نفسه: 58
(4) نفسه: 60

إكرامه ، وجلس يدرس القرآن والحديث الشريف في جامع هراة [1]، ولما قدم الْقَاهِرَة بعد عام 827هـ اجْتمعَ بالسلطان الْأَشْرَف فَعَظمهُ وأكرمه وتصدى للإقراء والتحديث[2]، وكان لتلك العناية والاهتمام بابن الجزري أثر على طلابه الذين تلقوا عنه ، فقد أمسك السلطان علاء الدين بن قَرَمَان عنده بمدينة قُونِيا بتلميذ ابن الجزري الإمام أمين الدين التبريزي [3].

المبحث العاشر

ابتعاده وإبعاده عن مواطن الفتن

كانت الفترة الزمنية التي عاش فيها الإمام ابن الجزري مليئة بالأحداث والحروب، لا سيما في الديار الشامية والمصرية ومع الروم والعجم ، حيث دفعه ذلك إلى الفرار من الديار المصرية إلى بلاد الروم[4]، يقول:"حتى قدر الله تعالى ما قدر من توجهي إلى بلاد الروم فراراً مما كنت أتوقعه من الفتن ومن غير ذلك"[5]، ونُجاه الله من الفتن مرة أخرى حين أُخرج من سمرقند عندما خشي عليه السلطان خليل بن الأمير ميران شاه [6]، وقد كان لبعد الإمام ابن الجزري عن الفتن أثر كبير على انتشار علمه وقبوله عند الناس والسلاطين والملوك وعنايتهم به ، وبقاؤه في حماية الملوك في بلاد الفرس في فترة تعاقبت فيها الملوك والممالك ، وكان كل ملك لا يُمَكِّنُهُ من الخروج من مملكته

(1) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 63

(2) البدر الطالع، للشوكاني: 257/2 .

(3) انظر جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 52-53

(4) غاية النهاية، لابن الجزري: 249/2

(5) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 51

(6) نفس المصدر: 61

حرصاً عليه ، ورغبة في نشره العلم ، وحذراً من لحاق الأذى به [1]، حتى أذن له الأخير بمغادرة بلاده متجهاً إلى البصرة ثم منها إلى المدينة ، وبعد تجاوزه قرية عنيزة في طريقه إلى المدينة ، أخذه قطاع الطريق من الأعراب على بُعد مرحلتين من عنيزة ، لكن الله نجاه منهم ، وهيأ له من تكفل بإيصاله إلى المدينة [2].

المبحث الحادي عشر

كثرة وتنوع مؤلفاته

تنوعت مؤلفات الإمام ابن الجزري في مضمونها ، ولست هنا بصدد عدها وحصرها وسردها ، فهي موجودة منشورة ، ولكن مقصودي هو تحليل موضوعاتها وأسلوب تأليفها ؛ فمنها ما هو في القراءات متواترها وشاذها، وفي التجويد ومسائله ، ومنها ما هو في الحديث واللغة العربية والفقه والسير والتراجم والطبقات والرقائق ، وكان تأليفه على مناهج شتى ، لاسيما ما يخص القراءات ، فبعضها نظم ورجز ، وأغلبها نثر وشرح وبسط وجمع ، بعضها في قواعد وأصول القراءات وفرشها ، وأُخرى في حل مشكلها ، فيستدرك ويُقَوِّمُ ويصحح ، فشمل تأليفه جميع موضوعات القراءات وعلومها ، ومن خلال تتبع سيرة الإمام ابن الجزري ؛ يظهر لي – والله أعلم – أن تلك المدارس كان لها أثرٌ في ذلك التنوع ، فلعله رغب في إعداد مادة علمية رصينة متنوعة في كل العلوم ، ومركزة في علم القراءات والتجويد ، ومُيَسَّرةٍ تقرب علم القراءات للطلبة ، ولعلها كانت مقرراً للتدريس في مدارس القراءات التي أنشأها أو أشرف عليها ، بث من خلالها علمه وآراءها واختياراته ، وربما كانت متطلباً ومنهجاً

(1) غاية النهاية، لابن الجزري: 250/2
(2) نفس المصدر: 251/2

لمن يرغب عرض القراءات عليه أو تلقيها عنه ، وقد أخبر أن طلابه قرؤوا عليه بعض كتبه وسمعوها منه ، منهم من سمع منه الطيبة والتقريب والنشر، ثم استظهروها وعرضوها عليه ، وأجازهم بها[1]، كما عرضت عليه ابنته سلمى مقدمة التجويد وحفظت طيبة النشر[2]، وقرأ عليه ابنه أبو بكر كثيراً من كتب والده وشرحها[3]، وكذلك ابنه أحمد حفظ الطيبة وسمع وقرأ جمعاً من كتب والده ، وقد استمرت تلك المنظومات والمؤلفات حتى زماننا هذا ؛ لما تميزت به من تحرير وتحقيق ، وتيسير وتسهيل ، واستقرت في صدور القراء والمقرئين المبتدئين والمنتهين ، وهذا من القبول الذي طرحه الله للإمام ابن الجزري رحمه الله ولمؤلفاته [4].

المبحث الثاني عشر

توليه مناصب علمية

تولى الإمام ابن الجزري عدة مناصب علمية ، وذلك يدل على علو كعبه في العلم، فقد تصدر للإقراء في الجامع الأموي[5]، وتولى الخطابة في جامع التوبة بدمشق [6]،والتدريس في المدرسة الأتابكية[7]، وولي التدريس في المدرسة الصلاحية

(1) غاية النهاية، لابن الجزري: 249/2 ، 336/1 ، الضوء اللامع، للسخاوي: 317/3

(2) نفس المصدر: 310/1

(3) المصدر نفسه: 129/1 ، 245/2 – 246 ، 8/1 ، 47/1

(4) نفسه: 129/1 –130 .

(5) شيخ القراء، الحافظ:34 .

(6) الضوء اللامع، للسخاوي: 256/9 ، الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي: 137/1 .

(7) الدارس في تاريخ المدارس ، للنعيمي: 129/1 ، 136 ، 148 .

القدسية [1]، وتولى مشيخة الإقراء الكبرى بتربة أم الصالح بدمشق[2]،ومشيخ الإقراء في المدرسة العادلية[3]، ومشيخة دار القرآن الجزرية التي أنشأها برأس عقبة الكتان بداخل دمشق المحروسة[4]، ودار القرآن التي أنشأها في شيراز ودفن فيها[5]، ومشيخة الإقراء بدار الحديث الأشرفية[6]،وولي قضاء الشام [7] وشيراز[8]،وتولى منصب كاتب الملك المؤيد[9]،وولي الفتيا في الشام وغيرها بعد أن أَذِنَ له بالفتيا شيوخه الذين تلقى عليهم العلم وهم أبو الفداء ابن كثير والشيخ ضياء الدين والشيخ البلقيني[10]، وذلك يؤكد بلوغه من العلم مبلغاً كبيراً ، وعلو منزلته ومكانته لدى العلماء ، ونتج عن ذلك ما حصل له من حظوة عند الملوك والأمراء ، وتلك أسباب هيأت الظروف لانتشار صيته وشيوع كتبه وأسانيده بين الناس ، وبالتالي انتشرت رواياته واختياراته ومؤلفاته ، فسطع نجمه في عالم القراء والمقرئين ، وتلقى الناس كتبه بالقبول

(1) غاية النهاية، لابن الجزري: 130/1

([2]) نفس المصدر: 248/1، وانظر شيخ القراء، الحافظ: 34

([3]) شيخ القراء 34-35 ،الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي : 270/2 ، وكتاب الضوء اللامع، للسخاوي: 256/9

([4]) الدارس في تاريخ المدارس ، للنعيمي: 8/1

([5]) مشيخة القراء، للحافظ:36 ، غاية النهاية، لابن الجزري: 251/2 ، الشقائق النعمانية 26 ، الضوء اللامع، للسخاوي: 257/2 ، شذرات الذهب، لابن العماد: 204/7

([6]) شيخ القراء، لابن الجزري:36 ، وانظر الضوء اللامع، للسخاوي: 256/9

([7]) غاية النهاية، لابن الجزري: 249/1

([8]) نفس المصدر: 250/2 ،الشقائق النعمانية 26 ، الضوء اللامع، للسخاوي: 257/2

([9]) الضوء اللامع، للسخاوي: 257/9

(10) غاية النهاية، لابن الجزري: 248/1

المبحث الثالث عشر

انتشار طلابه في البلدان

من أبرز العوامل المؤثرة في نشر أسانيد الإمام ابن الجزري تنوع طلابه ،وكان ذلك بفعل أمرين ، **أولهما:** توافدهم الطلبة للقراءة عليه من بلاد المغرب العربي والأندلس واليمن والهند والروم وبلاد العجم[1]، وقد أخبر عنهم فقال:"وصممت على الرحلة بنفسي ، وتمادت بي الأحوال وشغلني كثرة من ينتابني للقراءة والأخذ عني"[2]،**ثانيهما:** رحلة الإمام ابن الجزري إلى بلاد الروم والفرس والجزيرة العربية وغيرها وإقراء أعداد كبيرة من الطلاب ، حيث "قرأ عليه ببلاد الروم خلقٌ ، وانتفع به في هذا العلم جماعة ، وقرأ عليه بالقراءات العشر كثيرون"[3]، فتلقوا عنه وأجاز من أجاز منهم ، ثم عادوا إلى أوطانهم وانتشروا في البلدان ، وجلسوا للإقراء ، وممن تلقى عنه مَنْ كان إماماً في بلده ، يقصده الطلاب من كل مكان ،أمثال الإمام محمد بن أحمد بن شهريار الأصبهاني[4]، والذي التقى الإمام ابن الجزري في أنطاكية ، ولازمة وقرأ عليه وأجازه[5]، ثم توجه إلى مدينة لارنده يقرئ الناس بها[6]، والشيخ أمين الدين محمد التبريزي شيخ مدينة لارندة ، والشيخ عبد المحسن التبريزي شيخ تبريز[7]، وأمسكه

(1) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري:51 ، منجد المقرئين، لابن الجزري: 167

(2) نفس المصدر: 39

(3) المصدر نفسه: 53

(4) انظر ترجمته في غاية النهاية، لابن الجزري: 91/2 ، 329

(5) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري:53 .

(6) غاية النهاية، لابن الجزري: 91/2 ، 329

(7) نفس المصدر: 249/2

السلطان علاء الدين بن قرمان عنده في مدينة قونية[1]،ومنهم أبناؤه ، وبسبب كلا الأمرين تحقق في طلاب ابن الجزري الكثرة والتنوع في الأشخاص والبلدان ، حيث توافدوا من بلدان مختلفة ، قريبة وبعيدة ، عربية وأعجمية ، وبتأمل ألقاب تلاميذه وانتسابهم إلى مواطن إقامتهم ، وأعراقهم والأقطار التي قدموا منها ، والمواطن التي انطلقوا إليها وأقاموا فيها معلمين ومقرئين ؛ تلاحظ التنوع والاختلاف والانتشار الواسع لهم ، بعد أن حصلوا القراءات وقفلوا عائدين إلى بلدانهم ، فمنهم من سلك مسلك ابن الجزري في الرحلة والتنقل والإقراء والتعليم والتأليف ، فنقل الكثير عن شيخه إلى من لقيه من طلبة العلم ، في أقطاب شتى ، فحصل بانتشارهم خير كثير .

الخاتمة

وبعد.. فقد كان الإمام ابن الجزري إماماً واسع التأثير من خلال عوامل مؤثرة ، وبروز أثره على المشتغلين بعلم القراءات وعلومها ، وقد كان لهذا التأثير عوامل كثير رافقت الإمام ابن الجزري في كل تفاصيل حياته الشخصية والعلمية والتعليمية ، حيث أحدثت أثراً بالغاً في انتشار علمه ، وبلوغ أثره الآفاق ، تمثل ذلك في حصوله على علم وافر ، وتأصيلٍ متين ، وقد كان لذلك التأسيس دور أساسي ومهم في البناء العلمي ، لذلك فقد اتخذ الإمام ابن الجزري عوامل كثيرة وأساليب متعددة أحدثت ذلك الأثر العظيم في نشر علمه وانتشاره ، وكان من أبرزها ما تم رصده في هذا البحث من عوامل ، شملت البعد الشخصي والزماني والمكاني والمجتمعي ، والفردي والجماعي .

([1]) جامع أسانيد ابن الجزري، لابن الجزري: 52-53

النتائج :

أبرز العوامل التي أسهمت في تأهيل الإمام ابن الجزري ما يلي :

1. اهتمام أسرته بالعلم كان له أثر بالغ على نشأته وحبه لطلب العلم وتلقي القرآن والسنة.

2. البدء المبكر بطلب العلم وحفظ القرآن والسنة المطهرة.

3. تحصيله العلم على والده واصطحابه لتلقي على علماء البلد قبل الرحلة لغيرهم.

4. حسن اختيار العلماء الذين رغب أن يرحل إليهم ممن يتميزون بالعلم الراسخ وعلو الإسناد.

5. تكرار الرحلة عدة مرات لتلقي العلم على علماء وأئمة كبار.

6. عنايته بالدراية مع الرواية ، فسمع وقرأ كثيراً من مؤلفات العلماء الذين قرأ عليهم.

7. اهتمامه بإنشاء مدارس القرآن الكريم وتولي الإقراء في غيرها.

8. جلوسه للإقراء في سن مبكرة بعد أن تمكن من علم الرواية والدراية.

9. تجنبه مواطن الفتن والمصادمات ، وتركها لما هو أعظم وأنفع .

10. حسن علاقته بالولاة والأمراء والسلاطين .

11. حسن اهتمامه وعنايته بالطلبة علم القراءة والرواية.

12. عنايته بالتأليف ، وإثبات الطرق والروايات والأسانيد التي قرأ بها .

13. تسهيل علم القراءات من خلال نظم منثورِهِ ، وشرح منظومِهِ ، وتصنيف منشورِهِ وتقريب موسَّعٍ.

التوصيات :

من أبرز التوصيات التي أضعها نتيجة وخلاصة لهذا البحث ما يلي :

أولاً :الحرص على التأصيل العلمي وبناء القدرات الخاصة أمرٌ مهم في بناء الشخصية المؤثرة.

ثانياً : السعي لطلب العلم على أيدي علماء مبرزين متمكنين يمنح الشخص مكانة تتناسب مع مكانة من تتلمذ على أيدهم من علماء.

ثالثاً : حسن اختيار الطالب لمن يتلقى عنه من العلماء له دور مؤثر في مزيد تميز العالم.

رابعاً : مجرد حصول العلم لا يفيد سوى صاحبه ، ولا يخرج عن نطاقه ، وبقاء العلم وانتشاره يلزم له الجلوس لطلبة العلم ، والاهتمام بهم ، والحرص على تعليمهم ، وربما الوصول إليهم .

خامساً : لابد للعالم من حماية علمه من المؤثرات التي تعود على علمه بالنقص والنقض والتحجيم ؛ بسبب مواقف شخصية ، أو خصومات ونزاعات خارجة عن العلم ،

سادساً : حسن علاقة العالم بمكونات مجتمعه يضمن استمرار نشره للعلم ، كالأمراء والعلماء والمؤثرين.

سابعاً : نشر العلم عبر الأجيال يضمن استمرار انتشاره ، فعلم العالم ينتقل إلى مجموعة من التلاميذ ومنهم إلى غيرهم ، عبر مدارس منظمة ، ومقررات مؤلفة ، يدوم عملها سنوات طويلة ، فلا شك أنه ستصنع ثقافة ، وتخرج أجيالاً ، وتبق أثراً ..

ثامناً : التأليف مفيد في نشر العلم وانتشاره ، لاسيما إن حصل فيه التيسير والتسهيل والتقريب.

تاسعاً :قراءة كتب السلف عليهم ، وسماعها منهم له دور كبير في استمداد علم السابقين ، والانطلاق به نحو اللاحقين ، دون تناقض أو تضاد ، فعلمه مستمد ممن سلفه ، إلا أنه تميز بتحريره وتحسينه وتيسيره لطلبة العلم .